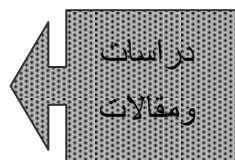


أ.د. الشيخ محمد مهدي التسخيري  
مستشار امين عام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

## منهج الدعاء الوجدوي



عن ابي عبدالله قال: قال اميرالمؤمنين (ع) :  
أحبّ الاعمال إلى الله في الارض الدعاء وافضل  
العبادة العفاف، قال: وكان اميرالمؤمنين  
(ع) رجلاً دعاء<sup>1</sup>.

مقدمة:

ان الدعاء حلقة الوصل بين العبد وربه  
متى افتقدها أو أغفلها فقد تاه في أزقة  
الضلال الملتوية، لايمكنه الخروج منها الا  
باستعادتها بلطف من الله و ارادة وتصميم من  
العبد.

يذكر أن للدعاء في اللغة معان كثيرة

منها:

أ. الدعاء هو (الرغبة إلى الله . . . .) كما أشار إليه الفيروز آبادي في قاموس المحيط الدعاء إلى الشيء، الحث على قصده . . . وهو ما أشار إليه الراغب الاصفهاني في مفرداته. وفي القرآن الكريم يحتمل معان عديدة وأهمها ما ذكر عن الاصفهاني والفيروز آبادي واليك بعض الآيات الدالة على ذلك:

– ﴿وَاللّٰهُ يَدْعُوْا۟ اِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِيْ مَنْ يَشَاءُ اِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيْمٍ﴾ (2).

– ﴿وَيَا قَوْمِ مَا لِيْ اَدْعُوْكُمْ اِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُوْنِيْ اِلَى النَّارِ تَدْعُوْنِيْ لَآكْفُرَ بِاللّٰهِ وَاَشْرَكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِيْ بِهِ عِلْمٌ وَاَنَا اَدْعُوْكُمْ اِلَى الْعَزِيْزِ الْغَفَّارِ﴾ (3).

– ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيْبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَان فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلِيُؤْمِنُوا۟ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُوْنَ﴾ (4).

لذلك فإن الدعاء طلب من العبد واستجابة من الربّ أو توجه من العبد نحو ربه واقبال من ربّ العزة نحو عبده.

و ضرورة الدعاء في الحياة تتجسد في بعدين، البعد المادي والبعد المعنوي:

اما الجانب المادي فان الإنسان فطرياً يلتجئ إلى الدعاء في احتياجاته الدنيوية:

أ- لرفع الفقر والمرض والخوف و.....

ب - لدفع التحديات التي يواجهها من الآخرين تمسكاً بالطرق العملية للدعاء .

ج - لزرع الطمأنينة عنده والثقة بالنفس في مواطن اهتزازها .

اما الجانب المعنوي : فهو أمر غيرمادّي ، قدلايستطيع الإنسان وصفه ، كالحركة نحوالكمال والعشق القلبي الذي يجرالإنسان نحو مركز القوى والشوق إلى الاتصال بعالم يؤمن به كل الايمان وهو غيرقادر على توصيفه؛ لأن هذا الوجود يحيط به من كل جانب. وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسْوُسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾<sup>(5)</sup>

﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>(6)</sup> .

إذاً للدعاء في حياة الإنسان معنى الانفتاح على الله والاقبال عليه في احساس عميق بالحاجة إليه على اساس الفقر الذاتي المتمثل في عمق كيانه والعبودية التي توحى بانسحاق وجوده أمامه وذوبان ارادته امام ارادته.. وهو في الوقت نفسه - عبادة حيّة متحركة لاتخضع لتقاليد العبادة فيماهو الزمان المحدود ، والمكان المعين والكلمات الخاصة والافعال المحددة .. بل يأخذ الإنسان حرّيته

– معها – في الوقت الذي يختاره وفي الحالة التي يكون عليها وفي المكان الذي يقف فيه وفي الكلمات التي يختارها وفي اللغة التي يتحدث بها، وفي المضمون الذي يعبر عنه ... فيستطيع أن يدعو ربه قائماً وقاعداً ومضطجعاً وسائراً وواقفاً و... في الصباح وفي المساء وفي الظهيرة ، في قضاياه الصغيرة والكبيرة وفي احساسه الذاتية ، ومشاعره المتصلة بالآخرين <sup>7</sup>.

ان الدعاء هو روح الدين وبدونه لامعنى للمدين في نفوس المؤمنين ولن تجد ديناً لايشتمل على ادعية خاصة وعامة .

ان الايمان بالله الواحد الاحد هو اساس الأديان السماوية، والدعاء هو الباب التي يأتي العبد منها ليناجي ربه ويرتبط به ويدعوه كيف ما يحلوه ، به يرتفع العبد من أدنى مراتب الوجود المادية إلى أعلى درجات السمو ليقترب إلى العرش الربوبي ويصل إلى قاب قوسين أو أدنى .

الدعاء يحمل في طياته اروع المفاهيم التربوية والحكم العقلانية والصلابة الايمانية . فيه يتحول الخطاب من محطة سفلية ودنية إلى جانب ربوبي، علوي يكشف للإنسان كل ما لديه من اسرار خفية على بني

نوعه، ليتخلى عن رذائل الصفات المستورة ويتحلى بأفضل الذنوع الموهوبة من رب رحيم لتجسيد الخلق والخلق العظيم في اضيق بقعة من كائنات رب العزة والعظمة .

فالدعاء فعل الجميع بلسان وقلب ، عالم وجاهل، اسود وابيض لاينحصر في مكان ولا زمان ولا مذهب وقومية ومدرسة ودين، ولا بصغير وكبير، ﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(8)</sup> ، هو صلة الوصل بين العبدو المعبود، هو شعار الحرية والسيادة ، والخلاص من كل قيد ماسوا الله وهو لب الايمان واساس التقوى ونهج العبادة .

فكل مايكتب عن الدعاء هو قطرة في بحر عطائه ولايمكن لنا إلا الغور في اعماق هذا البحر واستخلاص درة ثمينة من جوفه لنزين قلوبنا وعقولنا بها ، نجعلها مناراً لحياتنا في الدنيا ومزرعة لآخرتنا .

ونحن في هذاالمجال نتحدث عن الدور الوجودي للدعاء في حياة الإنسان. ونسعى لتسليط الضوء على جانب مهم في مسيرة الإنسان التكاملية ومشروعه التوحيدي الذي يبتدئ بقوله (ص) : «قولوا لاإله الاالله تفلحوا» وينتهي بـ (إنا إليه راجعون) فالمبدأ

والمعاد واحد والمسير إلى الله واحد والدين واحد وان تعددت السبل وكانت بعدد انفس الخلائق.

### الوحدة ، دعوة للتعاليم الإسلامية:

المنطق القرآني في جميع أبوابه يدلنا على وحدة مترابطة بين بني البشر ويهدي الإنسان إلى الإيمان بوحدة نوعية إنسانية تقوم على السنن الإلهية الشاملة للجميع ، لتكوين أسرة واحدة ألا وهي أسرة التوحيد، موصولة الحلقات ورائد هذه الأسرة وأبوها إبراهيم خليل الرحمن(ع) بقوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾<sup>(9)</sup> ورسول الله خاتم الانبياء في هذه الأسرة وبه تختم رسالات الله وهذه الأسرة هي الشجرة الطيبة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ، تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾<sup>(10)</sup> ،

الممتدة الجذور، المباركة الاغصان والفروع، طيبة الثمار، ممتدة في التاريخ واحدة بنص القرآن: «إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ»<sup>(11)</sup> ، «وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ»<sup>(12)</sup> . وللقرآن اهتمام بالغ بإبراز وحدة هذه الأسرة وتماسكها وتمتين العلاقة بين شرائح وأجزاء هذه الأسرة الواحدة، وتعميق العلاقة داخلها ويدخل هذا الاهتمام في صلب منهج التربية الإسلامية في الأشعار بوحدة هذه الأسرة، وفي تعميق الإيحاء بالانتماء إليها قدوة وأسوة في حياة الناس<sup>13</sup> .

لذلك نشاهد تعاليم الإسلام في الاحكام والاخلاق والمعاملات تتجه نحو هذا المشروع الالهي الوجدوي للتأكيد على نهج التوحيد في كل مجالات الحياة، وقد كان التشريع العبادي السماوي للصلوة والصيام والحج... في كل تفاصيله يحمل روح الوحدة، ويبعد عن التفرد والانفراد والتفرق، وكذا في المعاملات من تشريع الزكاة والضرائب والحج على الصدقات يصب في المنهج ذاته وايضاً هي الآداب الاخلاقية لاتنفصل عن هذاالاتجاه فكان من الاولي ان يكون الدعاء والذي هو روح الدين كما ذكرنا ان ينحو في هذا الاتجاه .

### دعاء الانبياء « عليهم السلام » :

ان الغاية من خلق الإنسان هي العبادة ولاغير، وقمة الحياة الإنسانية تتجلى بالعبودية لرب العزة والجلال، وهو القائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(14)</sup>، بالعبادة يصل الإنسان إلى معبوده ويتقرب إليه ولذلك قرنت العبادات بقصد القربة إلى الله وابتغاء مرضاته، وبما أن الدعاء هو اقبال على الله ومن ابرز مصاديقه الانشداد والانجذاب والارتباط بالله، قيل ان الدعاء هو مخ العبادة وقد ورد بمعنى العبادة ايضاً في الآية القرآنية كقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾<sup>(15)</sup>.

إن الانبياء سادة قومهم وهم اعبد الناس فأصبحوا القدوة لأمتهم والمسيرة البشرية جمعاء .

لو امعنا النظر في الادعية القرآنية لشاهدنا بوضوح بأن انبياء الله كثيراً ما يردفون المؤمنين والاخوة والوالدين والاقرباء في ادعيتهم، فهم الاسوة لنا في اعمالنا وعلينا اتباعهم إذا دعا المؤمن لأخيه وقريبه فانه بذلك قد أزال الضغينة



والحسد عن نفسه بالنسبة لأخيه، ولذا يفتح الله ابواب رحمته على الداعي، وهذا النوع من الدعاء يدعو إلى الألفة والمحبة والوحدة فيما بين أبناء الأمة الواحدة فالدعاء للآخرين يربطنا بهم ويجعلنا في مسيرة تأريخية واحدة كما اشرنا سابقاً .

وهنا نتطلع إلى نماذج من أدعية الانبياء الوجدوية التي تصب في مشروع هداية البشرية نحو نهج تأليفي إنساني من خلاله يتكامل المجتمع ويتكامل في منظومة منسجمة تحمل في طياتها كافة الأبعاد الفردية والاجتماعية والجوانب المعنوية والمادية نحو تربية هادفة صادقة لتحقيق معنى العبودية في وجدان كل إنسان موحد انتحل الحياة في اوساط المجتمعات المختلفة والشعوب المتفاوتة ليبرز محور التقوى من أجل تقييم المجتمع الصالح . من جملة هذه النماذج :

من مواظ عيسى (ع) لقومه :

«يا بني اسرائيل ... ألم تسمعوا أنه قيل لكم في التوراة : « صلوا أرحامكم وكافئوا أرحامكم » وأنا أقول لكم : صلوا من قطعكم وأعطوا من منعكم وأحسنوا إلى من أساء إليكم وسلّموا على من سبكم وأنصفوا من

خاصمكم واعفوا عمّن ظلمكم كما أنكم تحبّون  
 أن يُعفى عن إساءتكم فاعتبروا بعفو الله عنكم .  
 ألا ترون أن شمسهُ أشرقت على الأبرار والفجّار  
 منكم وأنّ مطره ينزل على الصالحين  
 والخاطئين منكم، فإن كنتم لاتحبّون إلّا أمن  
 أوجبكم ولاتحسّنون إلّا إلى من احسن إليكم  
 ولاتكافئون إلّا من اعطاكم فما فضلكم على  
 غيركم وقد يصنع هذا السفهاء الذين ليست  
 عندهم فضول ولالهم احلام...»<sup>16</sup>

ومن تأمل في نصائح عيسى (ع) لقومه يكشف  
 أنه كيف استطاع بهذه الكلمات النورانية ان  
 يحوّل الفئات المشرذمة والمتقاتلة إلى جموع  
 موحّدة ومتحاببة أحبته وأطاعته بعد ما أحب  
 بعضهم الآخر وعفى بعضهم عن بعض واحسن بعضهم  
 حتى إلى المسيئين منهم ليؤسسوا مجتمعاً  
 توحيدياً ساد العالم كلّهُ .

### مناجاة عيسويّة :

وقد ورد في مناجاة الله لعيسى بن مريم  
 صلوات الله عليهما : يا عيسى أناربك ورب آبائك  
 ، اسمي واحد وأنا الأحد المتفرد بخلق كل  
 شيء وكل شيء من صنعى وكل اليّ راجعون...  
 أشهد أنك عبدي من أمّتي تقرب اليّ  
 بالنواقل وتوكل عليّ أكفك ، ولا تول غيري

فأخذلك....

يا عيسى أحيي ذكرى بلسانك وليكن ودي في قلبك....

يا عيسى ارفق بالضعيف وارفع طرفك الظليل إلى السماء وادعني فإني منك قريب ولاتذكرني إلا متضرعاً اليّ وهمك واحد، فانك متى دعوتني كذلك أجبك.....

يا ابن مريم لورأت عينك ما اعددت لأولياي الصالحين ذاب قلبك وزهقت نفسك شوقاً اليه، فليس كدار الآخرة دار تجاور فيها الطيبون وتدخل عليهم الملائكة المقرّبون وهم مما يأتي يوم القيامة من احوالها آمنون، دار لا يتغير فيها النعيم ولا يزول عن اهلها... .

يا عيسى ان غضبت عليك لم ينفعك من رضي عنك وإن رضيت عنك لم يضرّك غضب المتغضبين عليك.

يا عيسى قل لهم : قدّموا اظفاركم من كسب الحرام، واصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء، واقبلوا عليّ بقلوبكم فاني لست اريد صوركم....

يا عيسى أدب قلبك بالخشية وانظر إلى من أسفل منك، ولاتنظر إلى من فوقك واعلم أن رأس كل خطيئة وذنوب هو حبّ الدنيا فلاتحبّها ، فاني لأحبّها.

يا عيسى أ طب لي قلبك وأكثر ذكري في  
الخلوات ، واعلم ان سروري أن تبصص اليّ  
وكن في ذلك حياً ولا تكن ميتاً....<sup>17</sup>

وقال عيسى (ع) : طوبى للمذين يتهددون من  
الليل اولئك الذين يرثون النور الدائم من  
اجل أنهم قاموا في ظلمة الليل على ارجلهم  
في مساجدهم ، يتضرعون إلى ربّهم رجاء أن  
ينجيهم في الشدة غداً<sup>18</sup>.

وهذا تأديب آخر ودعوة من الله إلى التوحد  
بكل معانيه وتبيين لطرق الاتصاف بالعبودية  
له بأداء النوافل واحياء الذكر وتركيز  
الود والتوكل عليه والتضرع إليه كي ينطلق  
لإقامة دين الله وشرعه في ارضه وبناء مجتمع  
آمل بنعمة دائمة ، ورضا المعبود.

مناجاة نبي تحمل في طياتها دروس الحياة  
النزيهة والطاهرة لايشوبها حرام ولاكتسي  
ثوب الظلم بهدر حقوق الآخرين ، وتدعو إلى  
حياة في قلوب خاشعة وعقول منفتحة وجوارح  
مجتهدة وجوانح مؤدّبة ، بالتسليم إلى  
خالقها، تسعى لتصل إلى النور الدائم من  
عمق ظلمات الليل رجاء النجاة.

تأديب موسوي:

وقد ورد في تحف العقول :

ياموسى أنت عبيدي وأنا إلهك ، لاتستذل

الحقير الفقير ولا تغبط الغني ، وكن عند  
 ذكري خاشعاً ، عند تلاوته برحمتي طامعاً...  
 ياموسى عجل التوبة وأخر الذنب وتأن في  
 المكث بين يديّ في الصلاة ولا ترج غيري،  
 اتخذني جنّة لك للشدائد وحصناً لملّمات  
 الامور....

ياموسى عبادي يدعوني على ما كانوا بعد  
 أن يقرأوا بي أني ارحم الراحمين، اجيب  
 المضطرين ، واكشف السوء ، وأبدل الزمان،  
 وآتي بالرخاء ، أشكر اليسير، واثيب  
 بالكثير، أغني الفقير، وأنا الدائم العزيز  
 القدير.... ياموسى انظر إلى الارض فانها عن  
 قريب قبرك، وارفع عينيك إلى السماء فان  
 فوقك فيها ملكا عظيما، وابك على نفسك ما  
 كنت في الدنيا وتخوف العطب والمهالك  
 ولا تغرنك زينة الدنيا وزهرتها، ولا ترض  
 بالظلم ولا تكن ظالماً، فاني لظالم بمرصد  
 حتى أديل منه المظلوم....<sup>19</sup>

يشير ربّ العزة إلى عباده بالبقاء على  
 الصلة مع الله سبحانه ويدعوهم إلى المساواة  
 في الحياة الإنسانية في مختلف جوانبها  
 الفردية والاجتماعية ، الاقتصادية والعبادية  
 المادية والمعنوية .. والى عدم فك هذه  
 الصلة التي بدونها يسقط الإنسان الفرد

والمجتمع إلى هاوية لاتعرف عقباها . صحيح انه يخاطب نبيه عليه السلام ولكن حقيقة هذه المناجاة هي رسم استراتيجية للحياة الخالدة التي تربط بين دنيا الإنسان وآخرفته وعدم فقدان الفرص المؤاتية والمساعدة على بناء حياة طيبة في الدنيا ممزوجة بالخوف والرجاء مفعمة بالثقة والاطمئنان برحمة ربه بعيدة عن الغفلة واليأس والهلاك والغرور والظلم و....

#### منهج الانبياء الوحدوي في القرآن :

وقد وردت في القرآن الكريم آيات مباركة تتحدث عن دعاء الانبياء في حق ابنائهم وعائلتهم ومجتمعهم، جاءت كلها بصيغة الجمع تأديباً للعباد وتربية لهم كي تكون ادعيتهم كسائر العبادات والمعاملات تنظر إلى الاجتماع والاخوة والوحدة الإنسانية لأن كل خير - شئنا أم أبينا - سوف ترجع ايجابياته على الجميع، وكذلك هو الشر اذا حل بقوم أو مجتمع سوف يأكل الاخضر واليابس، هي سنة كونية قائمة، وطبيعي ان السنن الايجابية تشمل الجميع والعكس هو الصحيح ايضاً « من سنّ سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل

بها» .

وهنا نشير إلى بعض الآيات الواردة على لسان الانبياء (ع) دعاءً للجميع والآيات كثيرة منها ماورد على لسان نبينا آدم (ع) حيث قال: ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾<sup>(20)</sup> .

فهو تأديب الهي موجه إلى بني البشر، يقصد ان علينا حسن الدعاء في الطلب لجميع المؤمنين من رحمة ومغفرة و... وكل نعمة أنعمها الله على عباده الصالحين، ويدعو ابراهيم خليل الرحمن بقوله (ع) : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾<sup>(21)</sup> وآية «...قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْنِكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَتْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(22)</sup>

فهذا الأسلوب الناجع الذي يدعو إليه أبو الأنبياء وقائد الأديان السماوية في مسيرة حركة الإنسان إلى ربه من اجل تكوين كتلة واحدة حتى ولو كانت مظاهرها المادية

متفاوتة ومختلفة .

وقد دعا شعيب بخير ما يكون من ربه بالفتح قائلاً: ﴿ قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾ (23) وفي دعاء موسى خوفاً على قومه من غضب فرعون الذي كان يدعي الربوبية العليا الذي اضطهد وقتل واستحى النساء واستكبر في الارض. يقول: ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى ﴾ (24) .

أدعية النبي(ص) واهل بيته(ع):

ان إثباع النبي (ص) في العمل والقول والسيرة فرض الهي يلزم كل مؤمن ومؤمنة وهذا ما اكده القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (25) ونهج اهل بيته (ع) لاينفك عن نهجه لذلك سلطنا ذكر دعائهم في مسلك واحد للتأسي بهم هو التأسي برسول الله(ص) امتداداً للمشروع الالهي. والدعاء بالمأثور عن النبي وآله يفتح العبد باباً واسعاً للارتباط بمعبوده لأنهم عليهم السلام باب مدينة الرسول (ص)، وهو خليفة الله على ارضه وبيده مفاتيح الارتباط



بالله ذي الاسماء الحسنی، وعدم معرفة نهجهم  
يوجب الحرمان من نعمة سلوك السبل الالهية ،  
صحيح بأننا كلفنا بالدعاء الذي هو ارتباط  
مباشر بين العبد وربّه لكن آداب الارتباط  
وكيفيتها علينا أن نأخذها من الذين اكثر  
قرباً لحضرة ذي الجلال والاکرام .

نشير هنا الى بعض المأثور عن النبي (ص)  
وجاء بصيغة الطلب الجمعي:

« اللهم انا نسألك موجبات رحمتك وعزائم  
مغفرتك والسلامة من كل اثم والغنيمة من كل  
بر والفوز بالجنة والنجاة من النار» .

وقد ورد ايضاً عنه (ص) : اللهم اغفر لنا  
وارحمنا وارض عنا وتقبل منا وادخلنا الجنة  
ونجنا من النار واصلح لنا شأننا كله .

واذا تمعنا في كتب الادعية الواردة عنهم  
(ع) لرفدنا بأعذب ما يمكن للطلب أن يرتوى  
به من كلمات واجمل صور تنقل الإنسان المحب  
والعاشق إلى مراده ومولاه، حتى التي جاءت  
على نحو الانفراد فهي بالنهاية تحمل روح  
الجمع والجماعة يكمن فيها سبيل الوحدة في  
الارادة والخطاب والاداء المؤدي إلى التوحيد  
الربوبي، وليس من الصدفة ان يذكر اول  
الادعية في مفاتيح الجنان للمتهجد دعاء  
يهتف لوحداية الله وتوحد الامة واصطفافها  
ليكون شعار وحدة لامة الإسلامية : « لا اله الا  
الله الهاً واحداً ونحن له مسلمون لا اله الا الله

ولانعبد الآياه مخلصين له الدين ولو كره المشركون لاله إلاالله ربنا وربّ ابائنا الاولين لاله الاالله وحده وحده انجز وعده ونصرعبده وأعز جنده وهزم الاحزاب وحده فله الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»<sup>26</sup> .

بهذه الكلمات يبدأ الشيخ عباس القمي في كتابه مفاتيح الجنان والذي له مكانة خاصة في قلوب العارفين المهاجرين إلى الله.

إن الإسلام يدعو إلى الوحدانية الالهية والاخلاص هو روح العمل الإسلامي وكلما تصفحنا كتب الادعية المأثورة والمفعمة بكلمات أئمة الهدى والصالحين كلما شاهدنا اكثر الدعاء الجماعي والذي لا يقتصر على المسلمين بل ليتعدى كافة ابناء الإنسانية والبشرية وقد روى الكفعمي في المصباح وفي البلد الامين كما روى الشيخ الشهيد في مجموعته عن النبي (ص) أنه قال : من دعا بهذا الدعاء في رمضان بعد كل فريضة غفرالله له ذنوبه إلى يوم القيامة :

اللهم ادخل على اهل القبور السرور اللهم اغن كل فقير اللهم أشبع كل جائع اللهم أكس كل عريان اللهم اقض دين كل مدين اللهم فرج عن كل مكروب اللهم ردّ كل غريب اللهم فك كل اسير اللهم أصلح كل فاسد من امور المسلمين اللهم اشف كل مريض اللهم سد فقرنا بغناك اللهم غير سوء حالنا بحسن حالك اللهم اقض

عنا الدين وأغنا من الفقر إنك على كل شيء  
قدير<sup>27</sup>.

ان المتأمل في عبارات الدعاء ، يكتشف كيف انه يدعو الرسول (ص) لكافة المحتاجين من الناس ولايشير إلى دينهم ومذهبهم يدعو لهم بالانفراج في المواطن الصعبة، من هول القبر، والخلاص من الفقر والجوع والحرى والكرب، والغربة والأسر وأداء الدين، ومن ثم يلتفت إلى المسلمين بالدعاء لهم على اصلاح الفاسد من امورهم وشفاء المريض وسدّ الفقر وتغيير الاحوال ... ان هذه التربية النبوية هي التي تستجلب الاعداء قبل الاصدقاء والمحبين نحو رسول الله (ص) ولو لم يكن كذلك لما كان رحمة للعالمين، وما التفت حوله قلوب العاشقين وانشد إليه الوالد هون واصطف خلفه المريدون وقد قال سبحانه وتعالى في حقه: ﴿قَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لنت لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾<sup>(28)</sup>.

اضف إلى ذلك عندما نراجع دعوات الايام الرمضانية للنبي الاكرم (ص) كماهو منقول عن ابن عباس، بهايقدم صلوات الله وسلامه عليه مجتمعاً نموذجياً يحمل ارقى الصفات ليكون

الاسوة لكافة البشرية ويحقق مصداق ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا... ﴾<sup>(29)</sup> ، مجتمعاً عرف بالصيام والقيام، والوعي والتوبة، والعفو، والرضا، وقراءة القرآن، والابتعاد عن سخط الله، ونقمته والبعد عن السفاهة والتمويه وطلب الخير، وكثرة الذكر، واداء الشكر والسعي إلى المغفرة، والدخول في الصالحين القانتين والترحم على اليتام واطعام المساكين، وافشاء السلام، وصحبة الكرام، والاهتداء بالبراهين الساطعة والتوكل على الله، ومحبة الاحسان وكره الفسوق والعصيان والتزيين بالستر والعفاف والستر بلباس الكفاف والقنوع والحمل على العدل والانصاف، والامن من كل مخوف، والطهارة من الدنس والاقذار والصبر على كائنات الاقدار والتقوى وصحبة الابرار والقيام لصالح الاعمال، والتنبه لبركات الاسحار، والعرفان بقلوب منورة، مجدداً لدخول جنات الرحمن، وغلق ابواب النيران، بالابتعاد عن همزات الشيطان، مطهراً من العيوب، ممتحن القلوب، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر يرتقي إلى قمة الإنسانية بفضل ليلة القدر التي هي خير من الف شهر...

يسعى الإنسان إلى تحقيق هذا المجتمع المثالي من خلال الادعية المأثورة والمنقولة عن نبي الرحمة واهل بيته لتكون مناراً له في حياته الدنيوية ومآلاً لآخرفته.

و هل يغيب على ذي لب وحكيم دعاء أبي الاحرار الحسين بن علي عليهما السلام في عشية عرفة كما نقلاه بشر وبشير ابنا غالب الاسدي قالانا كنا مع الحسين بن علي «عليهما السلام» عشية عرفة فخرج (ع) من فسطاطه متذلاً خاشعاً ، فجعل يمشي هوناً ، هونا حتى وقف وهو وجماعة من اهل بيته ، وولده ومواليه ، في مسيرة الجبل مستقبلاً البيت رافعاً يديه تلقاء وجهه ، كاستطعام المساكين ، ثم قال: الحمد لله الذي ليس لقضائه دافع وللعطائه مانع ولاكصنعه صنع صانع وهو الجواد الواسع ... وبعد ذكر اروع المناجات بين العبد وربّه تتجلى فيها آيات الخشوع من العبد والالوهية من ربّ رحمن رحيم.... إلى أن يقول : اللهم اقبلنا في هذا الوقت منجحين مفلحين، مبرورين ، غانمين، ولا تجعلنا من القانطين.... ولا تردنا خائبين ولا من بابك مطرودين يا أجود الاجودين.... اللهم ونقنا وسدنا واقبل تضرعنا ياخير من سئل ويا ارحم من استرحم....

وبهذا الدعاء يرسم خارطة طريق الفرد المؤمن والمجتمع الصالح، يرسم صورة كاملة عن ضعف الإنسان الذي قد يظن انه فعّال مايشاء من جهة، ويقدم لوحة فنية عرفانية لربّ العزة والجلال، العفو الغفور الرؤوف الرحيم... بالدعاء الحسيني يكشف الإنسان والمجتمع استراتيجية الحياة بعد معرفة نقاط الضعف والقوة وكيفية الارتقاء إلى قمة الكرامة والإنسانية .

واليك صورة اخرى عن الدور التربوي للدعاء في تكوين مجتمع ينهج المسير الوجدوي ليصل إلى اعلى درجات القرب والعبودية .

وقد ورد بأسناد معتبرة عن جابر عن الباقر(ع) أنه زار الامام علي بن الحسين زين العابدين (ع)، قبر أمير المؤمنين علي (ع) قائلاً: «السلام عليك يا أمين الله .. إلى أن قال : اللهم إن قلوب المخبتين إليك والهة وسبل الراغبين اليك شارعة و اعلام القاصدين اليك واضحة وأفئدة العارفين منك فازعة واصوات الداعين اليك صاعدة وأبواب الاجابة لهم مفتحة ودعوة من ناجاك مستجابة وتوبة من أناب اليك مقبولة وعبرة من بكى من خوفك مرحومة والإغاثة لمن استغاث بك موجودة والاعانة لمن استعان بك مبذولة و عداتك لعبادك مذجزة وزل من استقالك

مقالة واعمال العاملين لديك محفوظة وأرزاقك إلى الخلائق من لدنك نازلة وعوائد المزيد اليهم واصلة وذنوب المستغفرين مغفورة وحوائح خلائقك عندك مقضية وجوائز السائلين عندك موفرة وعوائد المزيد متواترة وموائد المستطعمين معدة ومناهل الظماء مترعة»<sup>30</sup>.

ان كل جملة من هذه الادعية هي في الواقع مدرسة لتعليم ولتربية المجتمع الإسلامي تقوده إلى تطهير القلب والرغبة نحو المعبود وقصده والاعتماد عليه والانقطاع عن سواه، وتجعله يعيش روح الامل في غفران ذنوبه وتجديد ثوب الحياة بقبول توبته والاستعانة والاستغاثة برب العزة. ما يقرأه الإنسان مُقُولُ ببالدعاء لكنه يحمل السبل المتنوعة التربوية لايجاد مجتمع موحد و نموذجي؛ لذلك يؤكد سيد عرفاء عالمنا المعاصر الامام الخميني الراحل: على العلماء ان يكشفوا حقائق دعاء ليلة عرفة للمجتمع الإسلامي قائلًا: «إن القرآن نزل بلسانه الخاص والدعاء حسب تعبير مشايخنا» هو القرآن الصاعد» وكل ما يحتاجه الإنسان سيحصل عليه في هذا الدعاء ان لغة الدعاء تختلف عن لغة الاحكام ولغة الفلسفة ولغة العرفان فانهما اثنان، ولغة الدعاء فوق كل هذه اللغات لكن هذه اللغة تحتاج إلى من

يتفهمها فعلى من يتفهم لغة الدعاء ان يندبها الآخرين، كما ان القرآن نعمة الهية يتنعم من فضله لكن تنعم النبي من القرآن يختلف عن تنعم الآخرين منه (انما يعرف القرآن من خوطب به)<sup>31</sup> فالبعض لا يعرف منه شيئاً والبعض لا يعرف الا القليل»<sup>32</sup> .

ومن روائع الادعية الواردة عن مدرسة اهل البيت (ع) والتي تقرأ في الاعياد وخاصة الجمعة «دعاء الندبة» وهذا الدعاء في الحقيقة يرسم خط المستقبل للمجتمع المسلم وخصوصياته وقد جاء فيه مبيناً حالة المجتمع الملتمزم بظهور الامام المهدي المنتظر(عج) وقد ورد فيه: أين المعد لقطع دابر الظلمة أين المنتظر لإقامة الأمة والعوج أين المرتجى لإزالة الجور والعدوان أين المدخر لتجديد الفرائض والسنن أين المتخير لاعادة الملّة والشريعة أين المؤمل لاحياء الكتاب وحدوده أين محيي معالم الدين وأهله أين قاصم شوكة المعتدين أين هادم ابنية الشرك والذفاق أين مبيد أهل الفسوق والعصيان والطغيان ....<sup>33</sup>

إن الدعاء هنا دعوة للمجتمع للسير على نهج الامام المهدي المنتظر لأن افضل الاعمال انتظار الفرج والانتظار هو ايجاد الارضية المناسبة لظهور صاحب العصور الزمان ، والارضية لا تحقق الا بالعمل من اجل تثبيت



الخصائص المذكورة في هذا الدعاء من مقارعة الظلمة ، والاعتدال وعدم الاعوجاج عن صراط الحق واحياء الفرائض والسنن.....  
 و من الواضح أن هذه الامور هي مقدمات لتهيئة الارضية اللازمة لظهوره والادعاء لوحده لايمكن أن يحقق امنية الداعي وبالعصيان وارتكاب الذنوب لايقترب الإنسان إلى ربه والطاعة هي الحل الوحيد لترجمة الأمانى إلى الواقع « ان المحب لمن يحب مطيع».

اولم نردّد في دعاء العهد « اللهم اجعلني من انصاره واعوانه والذابين عنه والمسارعين إليه في قضاء حوائجه والمحامين عنه والسابقين إلى ارادته والمستشهادين بين يديه»<sup>34</sup> ولايمكن الوصول إلى هذه المراتب الا بذية خالصة وجهد دؤوب وجهاد مستمر وقربة إلى الله سبحانه.

لقد تطرقنا إلى بعض ماورد على لسان الائمة الهداة من الادعية المأثورة لنؤكد انهم (ع) إلى جانب الدعاء الفردي والذي يتحرك في خط التربية الفردية والتزكية والتهذيب المؤدي بالعبد إلى اقامة مجتمع صالح بعيداً كل البعد عن الصفات الرذيلة ومهيئاً لتشيد نظام مبني على القيم الإنسانية والإسلامية، جهدوا على تربية الامة كي لاتغفل عن الدعاء الجماعي لتوطيد

او اصر الامة الواحدة وتأكيد ما جاء به القرآن  
النازل بما يصعد من الارض من دعاء مآثور  
عنهم (ع) لتكون مسيرة الإنسان ببناء  
ومتكاملة، من اجل بناء دنيا قائمة على  
العدل والانصاف لتكون مزرعة لآخرة يجتمع  
فيها الانبياء والصديقون والشهداء والصلحاء  
وحسن اولئك رفيقاً .

وفي الختام نشير إلى بعض ما جاء في دعاء  
زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن ابي  
طالب (ع) لأهل الثغور: « اللهم صلى على  
محمد وآله وكثر عدّتهم واشحذ اسلحتهم واحرس  
حوزتهم وامنع حومتهم ، وألّف جمعهم ودبّر  
امرهم ، وواتر بين ميرهم وتوحد بكفاية  
مؤنهم واعضدهم بالنصر وأعنهم بالصبر والطف  
لهم في المكر<sup>35</sup> .

..... اللهم اشغل المشركين بالمشركين عن  
تناول اطراف المسلمين وخذهم بالنقص عن  
تنقّصهم وثبطهم بالفرقة عن الاحشاد عليهم  
...<sup>36</sup> .

الهوامش:

- 1- الكافي : 467/2 ج 8
- 2- يونس/ 25 .
- 3- غافر/ 41 - 42 .
- 4- البقرة/ 186 .
- 5- ق/ 16 .

- 6- الواقعة / 85 .
- 7- دائرة المعارف الإسلامية الشيعية - حسن الامين - ج 6 ص 489
- 8- الحشر / 24 .
- 9- الحج / 78 .
- 10- ابراهيم / 24 - 25 .
- 11- الأنبياء / 92 .
- 12- المؤمنون / 52 .
- 13- الدعاء عنداهل البيت (ع) ... محمد مهدي الآصفي - ص 300
- 14- الذاريات / 56 .
- 15- المؤمنون / 60 .
- 16- تحف العقول ص 503 - الانجيل المقدس - دارالكتاب المقدس في الشرق الاوسط ص 13 .
- 17- المصدر السابق - ص 496 - 500 .
- 18- المصدر السابق - ص 510 .
- 19- تحف العقول للحراني - ص 496 - مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجامعة المدرسين بقم المشرفة .
- 20- الأعراف / 23 .
- 21- البقرة / 127 - 128 .
- 22- الممتحنة / 5 .
- 23- الأعراف / 89 .
- 24- طه / 45 .
- 25- الأحزاب / 21 .
- 26- مفاتيح الجنان - منشورات دارالثقلين لبنان - ص 61
- 27- المصدر السابق - ص 235 .
- 28- آل عمران / 159 .
- 29- البقرة / 143 .
- 30- مفاتيح الجنان - ص 423 .
- 31- بحار الانوار للعلامة المجلسي ج 24 ص 237 .
- 32- صحيفة نور - مجموعة آثار الامام الخميني

- (بالفارسية ) ج 19 ص 355 .
- 33- مفاتيح الجنان - ص 609 .
- 34- المصدر السابق - ص 613 .
- 35- الصحيفة السجادية - ترجمة صدرالدين بلاغي - ص 102 )  
دعاء (27) .
- 36- نفس المصدر - ص 106 .